الإديولوجيات الأخرى، كانت إديولوجية سياسية، وإذا حللناها باعتبارها تحتل موقعاً بين الإديولوجيات في مرحلة من مراحل تطور المجتمع قادتنا إلى الرؤية للعالم ـ وهذا يقربنا من العلم».

إن جوهر تقريب الإديولوجيا من العلم ـ ولا نقول مطابقتها معه ـ كامن في النظر إلى الذات باعتبارها متأملة في موضوع ملموس وسابق على وجودها، وهو المادة الإديولوجية نفسها بشتى تنوعاتها وتصارعاتها، وهي لذلك تصبح وعياً للوعي، أي بحثاً معرفياً في معطيات الوعي ذات الحضور الموضوعي. ولا نهدف على الرغم من ذلك إلى مطابقة الإديولوجيا كرؤية للعالم بالإديولوجيا كمعرفة، فهذه تحتل في الواقع الجانب الذي لا تستطيع أن تختلف حوله لا الإديولوجيات السياسية ولا الإديولوجيات كرؤية للعالم، لأنه يتمتع بمصداقية تطبيقية كبيرة.

وليست للأدب في اعتقادنا علاقة كبيرة بهذا النمط العلمي للإديولوجيا. إن الأدب أكثر اتصالاً بالنمطين السابقين: الإديولوجيا السياسية والإديولوجية للعالم، وهذا ما نريد أن نتبيّنه في المرحلتين التاليتين.

ب ـ الإديولوجيا في الرواية:

تفيدنا لتوضيح هذا الجانب الأَبْحَاثُ التي قدمها بيير ماشيري في الموضوع، ونرى أن الكلام عن أفكار ماشيري يفرض نفسه في المقدمة بالقياس إلى أبحاث باختين لأن بيير ماشيري وصل أبحاثه بشكل مباشر مع الأبحاث الماركسية، بينما بدا الآخر وقد فضل الابتعاد عن الرؤية الماركسية على الرغم من أنه كان على اتصال بها. إن ماشيري ينقلنا تدريجياً إلى تصور جديد لعلاقة الرواية بالإديولوجيا، دون أن يبتعد عن نطاق الجدلية الماركسية.

يتناول ماشيري في كتابه: «من أجل نظرية للإنتاج الأدبي» مفهوم المرآة كما تصوره «لينين» مُرَكِّزاً على دراساته حول أعمال تولستوي. ويلاحظ أن أبحاث لينين استخدمت ثلاثة مفاهيم أساسية: المرآة ـ الانعكاس ـ التعبير، بإمكانها أن تقود إلى بناء نقد علمي للأدب، وهو يلاحظ أن هذه المصطلحات استخدمت خارج أي تأطير نظري[32]. والمرآة عند لينين جزئية لأنها تقوم باختيار ما تعكسه، بمعنى أنها لا تعكس الحقيقة الكلية الموجودة في الواقع، ومع أنه يمكن التعرف من خلال أعمال تولستوي على كثير من

---

(32) Pierre Macherey: **Pour une théorie de la Production littéraire.** 1974, P. 142 - 143.
وانظر كتاب لينين نفسه: **في الأدب والفن**، ترجمه عن الروسية يوسف حلاق، ج 1، دمشق 1972، ص 206 - 207.